

دمية القصر

لربّ بدورٍ عَجَزَتْ بِدِيارِ جِرِّ ... وربّ خُدُورٍ هُتِّكَتْ خَفَرَاتُهَا .
فمن فَتَنَاتٍ نُطِطَتْ بِذَوَائِبِ ... ومن فِتْيَةٍ مَسَّ الثَّرَى وَفَرَاتُهَا .
ومن أَعْيُنٍ غُمَضَتْ وَكَانَتْ عَلِيَّةً ... تُشَاوِسُ الْحَاظَ الدُّجَى نِظَرَاتُهَا .
ومنها : .

أَسَاغَتْ بِطُونُ الْأَرْضِ سَوْدَ أُسُودِهَا ... وَلَقَدْ لُفِطَتْ فَوْقَ الثَّرَى حَشَرَاتُهَا .
فَكُنْ لِلْمَعَالِي يَا أَبَاهَا بِعِيدَهُ ... حُسَامًا تَجِدُ عَنْكَ الْعِدَا وَتَرَاتُهَا .
وَمَا لِلْمَنَايَا عَنْ عِدَىٍّ وَأَقَارِبٍ ... مَرَاحُ إِذَا عَادَ الْوَرَى سَكَرَاتُهَا .
عِزَاءً عَلَى الدُّنْيَا وَصَبْرًا عَلَى الرَّدَى ... إِذَا مَا دَوَّاعِيهِ عَلَّتْ نُعَرَاتُهَا .
تَنَكَّرَتْ الْأَيَّامُ لَا بَلَّ تَنَكَّسَتْ ... فَقَدْ شَابَهَتْ آصَالَهَا بُكَرَاتُهَا .
أَلَا فُلَيْرُثَ نَجَلٍ الْإِمَامِ وَصِنُوهُ ... بِقَايَا عُلَا تَحْوِي بِهَا أَثَرَاتُهَا .
وَمَا بَعْدُ عَبْدٍ إِلَّا لِنَجْلِهِ ... وَسَائِدُهُ فَلَتَحْوِهِ فَعَرَاتُهَا .
إِذَا مَا خَلَا الْمِيدَانُ عَنْ قُورِحِ الْوَعَى ... أُقِيمَتْ عَلَى مِضْمَارِهَا مُهَرَاتُهَا .
وَمِمَّا أَنشَدْنِي لِنَفْسِهِ قَوْلَهُ مِنْ فَخْرِيَّةٍ : .

يَا لَلْوَزَارَةِ مَا لِي لَا أَغْضُ بِهَا ... وَمَا لَهَا لَا تُعْلَى أَوْ تُشْرِفَ بِي .
وَهَذِهِ مِبَالِغَةٌ حَسَنَةٌ وَمِنْ عَجِيبٍ مَا سَنَحَ مِنْ فَخْرِيَّاتِهِ تَخْلَصُهُ مِنْ صِفَةِ الْبُرْغُوثِ وَالْبَقِّ إِلَى
نَوْعٍ مِنْ فَخْرِهِ الْمُسْتَحَقِّ فِي أُرجُوزَةٍ لَهُ يَقُولُ فِيهَا : .

رَقْمُ الْبِرَاغِيثِ وَزَمْرُ الْبَقِّ ... فِي مُفْخَصٍ مُخَصَّصٍ بِالذَّرَقِ .
يَرْعَيْنَ بَيْنَ أَخْمَصِي وَالْفَرْقِ ... لِحِمَا جَرَتْ فِيهَا دِمَاءُ الْعِتَقِ .
وَمِنْ فَخْرِيَّاتِهِ الْحَسَنَةِ قَوْلُهُ مِمَّا أَنشَدْنِيهِ لِنَفْسِهِ : .

لَئِنْ كَانَ حَطَّيْ مِنْكَ أَنِّي مُخَوَّلٌ ... لِحَطِّكَ أُثْنِي إِذْ تَجُودُ وَأُقْبِلُ .
فَقَدْ نَلْتَ مِنِّْي رُبَّةً لَا تُنَاوِلُهَا ... ذُكَاءُ تُعَاطِينِي السَّنَا فَأُطْلَلُ .
ومنها : .

مِشَتْ فِيَّ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي كَأَنَّهَا ... سُيُولُ حَرِيقٍ فِي الْإِبَاءِ تَغْلَغَلُ .
أَجُوعٌ وَأَظْمَأٌ عِفَّةً وَتَكَرُّمًا ... وَقَدْ ضَجَّ بِي وَادٍ وَغَطَّ غَطًا مَرَجَلُ .
مَكَارِمُ خَاطَتُهَا الْعُلَا بِجُلُودِنَا ... فَمَا هِيَ عَنْ أَبْشَارِنَا تَتَنَقَّلُ .
وَأَنشَدْنِي لِنَفْسِهِ مِنْ غَرْلِيَّةٍ : .

مَا هِيَ إِلَّا لَطْخَةٌ الْغَالِيَةِ ... وَهِيَ لَعَمْرِي لَطْخَةٌ غَالِيَةٍ .

أُنْظِرْ إِلَيْهَا كدُجى مَسْكَةٍ ... في ضوء شمس الضَّحوة العَالِيَةِ .
وَحَوْلَهَا من صُدْعِهِ عَنبرٌ ... كالعُذَرِ السُّودِ عَلَى الْغَالِيَةِ .
وَهُيَ عَلَى مَذْهَبِنَا قَيْلَةٌ ... لِلْقَيْلِ الْعَاطِرَةِ الْحَالِيَةِ .
فَبُورِكَتْ خَلْقَةُ تَضْمِيخِهِ ... لَمْ تَمُتْ هِنْدُهَا أُنْمَلُ الطَّالِيَةِ .
قَدْ خَاطَرَ الشُّوقُ عَلَى بَالِيَةِ ... إِثْرَ رُسُومِ الصَّبُوءِ الْبَالِيَةِ .
وَشَوَّقُ قَلْبِي بِجُنُونِ الْهَوَى ... نَشْوَانٌ لَا يَعْرِفُ مَا حَالِيَةِ .
وَأُنْشِدُنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ مِنْ غَزَلِيَةِ : .
أَمِيرُ الْحُسْنِ لَا يَلَاوِي عَزِيمَتَهُ ... وَيَقْسِمُ فِي ضَرَائِرِهِ الْغَنِيمَةَ .
وَمَا ذَا ضَرَّهْ لَوْ أَنَّ لَامِي ... يُغْزَلُ فِي خِلَالِ الْمَشَقِّ مَيْمَتِهِ .
وَقَالَ وَشَاتُهُ : لَمْ تَحْطَ عَنْهُ ... وَقَدْ ثَقَّ بَتِ دَرَّتَهُ الْيَتِيمَتَهُ .
وَلَهُ أَيْضاً مِنْ حَادِثَةٍ فِي بَعْضِ الْغِلْمَانِ : .
إِنَّ الْكَرَنَدِيَّ رُوشِنَاءَ خُرَّهْ ... فِي غِلْمَةٍ وَجْهُهُ لَهْمُ غُرَّهْ .
فَخِيَّطُوا بِالْعُقَارِ مُقْلَتَهُ ... وَمَزَّ قُوا لَا وَثَقَّ بِوَا دَرَّهْ .
قُلْتُ : مَا أَحْسَنَ اسْتِدْرَاكِهِ اللَّفْظَةِ الْفَاحِشَةَ مَعَ جَمْعِهِ بَيْنَ ضَدِّيِ التَّخْيِيطِ وَالتَّمْزِيقِ ! .
وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّوْفِيقِ لِلتَّلْفِيقِ . وَكُتِبَ إِلَى الْقَاضِي أَحْمَدَ بْنِ مَنْصُورَ بْنِ مُحَمَّدِ الْآزْدِيِّ الْهَرَوِيِّ
يَعَاتِبُهُ وَبَيْنَهُمَا مُحَاوَرَاتٌ وَمَكَاتِبَاتٌ : .
الذَّئِبُ لِي لَا لِمَنْصُورٍ وَلِلْكَرْمِ ... أَنَا الْمَضَّيْعُ يَا ذَرِيبَ الْعُلا كَلَامِي .
نَاسَمْتُهُ فَتَلَقَّ تَنْنِي سَمَائُمُهُ ... لَيْتَ الْجَفَاءُ كَفَاءُ مِنْهُ لِلذَّعَمِ .
وَلَهُ فِي غِلَامٍ أَوْرَدَ الْمَاءَ مُهْرًا .
وَطَبِيٍّ أَوْرَدَ الْمَاءَ ... غَزَالًا حَالِيَ الذَّحَرِ .
فَأَبْصَرْتُ غَزَالِينَ ... مَرُحِينَ إِلَى النَّهْرِ .